



اعتبرُ هذا اعترافاً شخصياً وليس تصرفاً في لفظ الآية القرآنية الكريمة!
اعتبره تأسياً بفعل الفاروق العظيم -رضي الله عنه-. حين سمع حديث: (الإسْتِدَانُ ثَلَاثٌ ، فَإِنْ أَذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجُعْ)، فقال:
(أَخَفِيَ هَذَا عَلَيَّ مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- ؟ أَلَهَانِي عَنْهُ الصَّفْقُ بِالْأَسْوَاقِ!) (البخاري ومسلم).

أيُّ تواضعٍ وإنحاءٍ على الذات يملكه ذلك الأشم المبشر بالجنة؟ وأيُّ صدقٍ في الأسواق كان يلهيه؟ وهو الذي مات ولم يخلف
بعده ما يُتنازع عليه!
ربنا يُحدِثنا عن الدنيا وأنها: {لَعِبٌ وَلَهُوَ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنُكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأُولَادِ} (الحديد، 20)، ويُحدِثنا من الالتهاء
بتلكاثر حتى يصل بنا الأمر إلى خسارة الحياة حين نترك الكثير الذي خوّلنا وراءنا ظهرياً، ونجيء الله فرادى كما خلقنا أول
مرة!
الله يُخاطبنا ويُحدِثنا.

أما نحن فيتحدث بعضنا إلى بعضٍ حديث الاعتراف؛ لأننا شركاء في هذا الحجاب الكثيف الشاغل الملهي! ولا أحد منا خليق
بأن يوبخ غيره فهو أولى بالتوبیخ..

أسئل نفسی الجاهلة: فیم أقضی ما تبقى من عمری؟

-أبحث عن المزيد من المتابعين في الشبكات الاجتماعية؛ بحجة أنني أقصد صناعة التأثير والتغيير الإيجابي.. والله أعلم
بالحقيقة!

لم أسع يوماً لشراء متابعين، ولكني أسعد بزيادتهم في حسابي "التوينتي"، و"الانستقرامي"، و"اليوتوببي"، وأنظر إلى (الرقم)
وكأنه المعيار الدال على مدى الأهمية في الحياة!

-كما أنظر إلى الزيادة في حسابي البنكي على أن هذا ليس مما تتعلق به نفسي، فالفتنة تتفاوت من إنسان آخر؛ ففتنة فلان
المال، وفتنة آخر النساء، وفتنة ثالث الأتباع، وفتنة رابع الأولاد، وفتنة خامس المنصب، وفتنة سادس التكثير بالعلم والمعرفة
و....

-أتنزّه من المعلومات بالقراءة والسماع والتحفظ والمتابعة.. وكان المهم هو (كم) المعلومات المخزونة في ذاكرتي وهي
بالطبع قليلة، ولكنني لا أتساءل عن نوع هذه المعلومات ولا عن مدى انتفاعي بها، وهل صارت من العلم النافع لدى أم هي من

العلم الذي يتبااهى به عند الأقران، ألم هي من العلم الذي هو حجة الله على الإنسان؟

-أريد أن أتفوق في برنامجي على زميلي، ولو كنت أدرى أنه خير مني، وأكثر صدقاً، وأوسع مادةً، وأعرف بحاجات الناس!

-وأريد أن أستأثر بقدرٍ من اهتمام الناس وحديثهم وتعليقهم يفوق ما لغيري، ولو كان الأمر لا يضيف جديداً، ولا يصنع مفيداً ولا يُسْدِّد فراغاً.

معظم اهتماماتي واهتمامات مَنْ أعرف تدور حول (كم)، وهذا يعني الولع بالكثرة والتکاثر، وليس بالكيف، والجودة، والصفاء، والإخلاص، والموافقة للسنة، وما يريده الله.

(كم) **عندك من المؤلفات؟** كثير.. لكن ما القيمة المضافة الخالدة التي تُشكّلها هذه الكتب؟

(كم) **عندك من المتابعين؟** مئات الآلاف أو ملايين، ولكن ما غناها عند الملماط؟ وماذا تعني المتابعة؟ وما قدر نفعك لها؟ وما قدر نفعها لك؟ ولو بتبادل دعوة أو نصيحة خالص أو نية مؤاخاة في الله سالمة من حظوظ الدنيا..

كم لديك من الأصدقاء؟ وكم قابلت منهم اليوم؟ وكان الأولى بالسؤال: نوع الأصدقاء، وماذا تقدّم لهم، وماذا يقدّمون لك؟ وعلى أي أساس بنيت هذه الصداقة؟ ف{الْأَخِلَاءِ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} (67:الزخرف).

(كم) **عدد أولادك؟** ليس هذا هو السؤال.. بل ماذا تلقوا من التربية، والقدوة، وطيب المطعم؛ وإلى ماذا صاروا؟ هل هم صالحون قريبون من ربهم؟ هل أضافوا شيئاً ذا بال للحياة؟ هل خدموا أمتهم؟ هل يحملون همومها؟ هل أشبعناهم عاطفةً وبراً؟ وأوسعنهم حلماً وصبراً؟ وأتبعناهم دعاءً وذكرأ؟

(كم) **زوجة عندك؟** وكان الأجر أن تسألني عن تدفق عاطفيتي وأدائى للحقوق، وتوازنى، وعدلي، وقدرتى على العطاء والتربية، وتحمل المشكلات، والتوفيق بين مختلف الواجبات، وفي كافة الظروف..

القليل الذى تؤدى شكره ولا يشغلك عن الله خير من كثير يُلهي ويُطغى، ويصنع (ازدحاماً) داخل النفس وفي ميدان الحياة حتى إذا وقف المرء بين يدي ربه لصلاة مكتوبة تشتبّه قلبه في أودية كثيرة، وحضرته صنوف شتى من الأشغال الصغيرة والكبيرة والخواطر والتكليفات، وصار يستعجل الخلاص من صلاته قبل أن ينسى؛ ليُكلّم فلاناً ويرسل لعلان، وينذهب لزيد، وينسق مع عبيد، ويؤكّد على شيء وينفّه ويلغي شيئاً.. فتقاسّ صلاته - على وجازتها وقصرها - مئات الأعمال!

وبهذا تنتهي حياتنا قبل أن تبدأ؛ لأنها أصبحت تنفيذاً لمتطلبات يومية عادية رتيبة.

ولو استحضرت معنى الحياة وأهميتها وأهمية أن أعيشها مع الله لكان لي شأن آخر، ولكنه حب الحياة وطول الأمل!

موقع الدكتور سلمان العودة

المصادر: